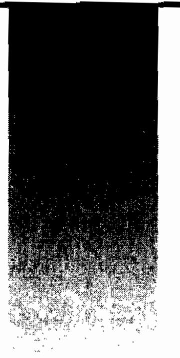


مارب في كتابات الهمداني

د. أنمار نزار ألحديثي
قسم الآثار والسياحة، كلية التربية
والآداب والعلوم/ مارب - جامعة صنعاء

مقدمة:

بدأ اهتمامي بروايات الهمداني عن مارب منذ بدأت التدريس في كلية التربية والآداب والعلوم بمارب ، ورحت أتابع ما ذكره من روايات عنها في مؤلفيه صفة جزيرة العرب والإكليل في محاولة لتكوين تصور لمارب عصره وصولا لتصور وضعها الأقدم.[1] ثم مقارنة كل ذلك بما موجود على الأرض الآن. وللأمانة كان لتشجيع الدكتور نزار الحديثي الذي اطلع على هذا الاهتمام دوراً كبيراً في عرض هذا الموضوع في بحث أشارك فيه في ندوة الهمداني فقد ناقشنا كثيراً فكرة البحث وما يتضمن من الأفكار.

تهدف الورقة إلى معرفة مدى تغطية روايات الهمداني لمارب، والوقوف على مصدره فيما أورد من معلومات، قياسا إلى الوضع القائم. غير إن صعوبة التجوال في المنطقة حدد مرونة المقابلة بين روايات الهمداني والواقع الفعلي من خلال الوقوف على ما فيه من شواخص ومعرفة ما يقع منها خارج رواية الهمداني، وأبقى البحث في حدود محددة بشكل كبير. وقد وجدت إن المقابلة بين رواياته وما

(1) آخر وثيقة يمكن أن تفيدنا في معرفة مارب القديمة هي كتابة أبرهة التي تعود إلى القرن السادس الميلادي.، وقد اعتمدت النص الذي نشره أ.د. جواد علي رحمه الله، وترجمته في مجلة المجمع العلمي العراقي.

ورد في الدراسـات الآثاريـة، ومعلومـات الرحالـة، قـد يـسد بعـض الفجـوة غـير أن طغيان الوصف الموقعي الذي تحدد بالمعبد، جعل المقابلة غير مجدية.

زار مـارب رحالـة ومنقبـون هـواة ومحترفـين قـدموا وصـفا للـسد. أمثـال أرنـو وجلازر[2] من الأجانب. ومـن العـرب أمثـال نزيـه العظـم[3] وأحمـد فخـري[4] وآثـاريين يمنـيين أمثـال يوسـف محمـد عبـدالله[5] وعبـدالله الـشيبة[6] ومـؤرخين عـرب أمثـال جـواد علـي[7] ومحمـود جـلال العلامـات[8]، والقائمـة طويلـة، ولكـن يبقـى الهمـداني صـاحب ريـادة فيمـا قـدم مـن روايـات عـن الـيمن سـواء تاريخيـة أو جغرافيـة أو مـا ينـضوي تحـت صـنوف المعرفـة الأخـرى، وربمـا لـو أن مؤلفاتـه وصـلت إلينـا كاملـة لوقفنا على منهجيته بشكل أدق.

لحظـت في أثنـاء إعـداد هـذه الورقـة، كـم هـي كـبيرة الحاجـة إلى كتابـة عربية لتاريخ اليمن، وكـم هـي كـبيرة الحاجـة إلى اسـتخلاص لمـا ورد في النقـوش مـن أسمـاء مواضـع وتثبيتهـا علـى الأرض، وإصـدار أطلـس يمـني تـأريخي. يفـرض ضعف الدقة في قراءة أو تحديد مواقع بعض الشواخص القديمة هذه الحاجة.

عرض عام لروايات الهمداني

الرواية الأولى

قـدّم الهمـداني روايتـه الأولى عـن مـارب في كتـاب صـفة جزيـرة العـرب في أربعة مواضع:

الأول: وصفها بقوله: "مدينة سبأ بمارب من أرض اليمن."[9]

(2) فخري: أحمد، رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة د. هنري رياض ود. يوسف محمد عبد الله، (اليمن: وزارة الإعـلام والثقافة، 1988م)، ص95، 97، 117؛ نور الدين:عبد الحليم، مقدمة في الآثار اليمنية، (اليمن: جامعـة صـنعاء، 1985)، ص135، 173.أرنو أول من أشار إلى نقش النصر؛ الشيبة: عبدالله حسن، تاريخ اليمن القديم، (صـنعاء: مكتبة دار الأفاق، 1999)، ص 16، 144.وجلازر زار مدينة مارب عاصمة دولة سبأ القديمة.

(3) الشيبة، تاريخ، ص156.

(4) فخري، رحلة، ص89وما بعدها.

(5) عبدالله: يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ط2، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1990)، ص69ـ102.

(6) الشيبة، تاريخ، ص96-100، ص119-120.

(7) علي:جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد: منشورات الشريف الرضي، بـد.ت)، ص306، 322، 343-347.

(8) لم استطيع الحصول على كتاب محمود جلال العلامات لكن اعتمد الحميري في رسالته على معلومات لوصف السد بـشكل كامل عليه. انظر:ناصر سعيد عبدالله، سد مارب، (جامعة الملك سعود: كلية الآداب– قسم الآثار والمتاحف، 1411).

(9) الهمداني، ألصفة، ص46، 64.

الثاني: حدد فيه موقعها اعتمادا على ما ورد عند بطليموس في وسط الإقليم الأول، وحدد عرضها وطولها.[10]

الثالث: قدّم لها وصفا تضاريسيا، فوصف وادي أذنه ومصادره من الأودية الأخرى، وأفاض في العرض.[11]

الرابع: تحدّث فيه عن مخلاف مارب، وقدم عرضا لمكونات المخلاف الإدارية.[12]

الخامس: ذكر الفلجين في موضع حديثه عن فلج اليمامة وليس ضمن رواياته عن مارب.

لا يبدو على معلوماته أنها مباشرة، فقد خلت من عباراته الدالة على ذلك في أماكن مختلفة من كتابه، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار رواياته الأخرى التي ورد فيها ذكر مأرب فبالإمكان القول انه استقاها من الشعر إلى حد كبير وتحديداً من قصيدة الرداعي،[13] وانه أغناها بمعلومات مكملة من مصادر الأخرى.

الوصف التضاريسي لمارب:

يبدأ الهمداني رواياته عن تضاريس مارب من خلال عرضه لوادي أذنه(ذنة) واتجاه جريانه، والفروع التي تغذيه، ثم يذكر مواقع متنوعة مختلفة في طبيعتها، ويهمل فروع الوادي وجريانها، ويذكرها على الإجمال عندما يشير إلى أنها تصب إلى موضع السد بين مأزمي مارب.[14] ويظهر من خلال عرضه لفروع وادي أذنه أنها تنبع من (رداع)، و(ردمان) و(قرن)، و(ذمار)، و(كومان) و(الحدا)، ومخلاف (ذي جره) و(جهران)، وجنوبي بلد (خولان)، وهي التي أشار إلى مصباتها عند السد،. أما سيول (السويق) و(حبانين) فتصب أسفل الجنة اليمنى فتسقي بعد الجنتين أرض السبأيين والحرجة.[15]

الوضع الإداري لمارب

وصف الهمداني مارب بالمخلاف، وذكر من مواضعه:

---

(10) المصدر نفسه، ص46، 49، 53، بينها وبين عدن أبين عشر مراحل.

(11) المصدر نفسه، ص151-154.

(12) المصدر نفسه، ص203-204. بدأ الهمداني روايته عن مخاليف اليمن بدون عنوان ، وبدأ بمخلاف بني عامر، وعاد ثانية في ص193 فذكر مخلاف شبوة، ويبدو على بحثه التناثر، وربما يفيد العود إلى نسخ المخطوط لضبط الموضوع.

(13) المصدر نفسه، ص327، 328، 334، 343.

(14) الهمداني، الصفة، ص153.

(15) المصدر نفسه، ص151-153.

أولاً- جنوب مارب

1. الجبل لبني مالك من مراد وبني طلية.
2. قائفة
3. فجاءه ورأسها جبل دقرار
4. السويق
5. تحتم
6. أسفل رحبة ورحابة

ثانياً- شمال مارب

1. نهج الجوف
2. العوهل
3. هينا
4. صرواح
5. موضح

ثالثاً- شرق مارب

1. رحابة
2. الجنتين
3. الفلجين[16]
4. أرض السبأيين
5. الحرجة
6. حزمة البشريين
7. الروضة
8. نهّية دغل في طرف صيهد
9. جبل الملح

رابعاً- قصر سلحين والهجر والقشيب[17]

خامساً- المذاب في عمدان.[18]

سادساً- وصف أعمدة العرش السفلى، وقال أنها" قائمة إلى اليوم... كل عمود منها له ثقوب في الصفا ثم القيم[19] أسفله وصب بينهما القطر."[20]

الرواية الثانية

وردت في الجزء الثامن من كتاب الإكليل،[21] وتضمنت المعلومات الآتية:

(16) الهمداني، الصفة، ص272، كرّر ذكر (الفلجان)جبلين في مارب.
(17) الهمداني، الإكليل، 8/76، 78. وسلحين قصر بلقيس.
(18) المصدر نفسه، 8/82.
(19) الكلمة غير واضحة المعنى والأرجح أنها ألقم.
(20) الهمداني، الإكليل ، 8/78. هكذا ورد النص في النسخة المعتمدة.
(21) المصدر نفسه، 8/73-82.

1. مارب مسكن سبأ.
2. الجنتان عن يمين السد ويساره وهما غامرتان.
3. مقاسم الماء من مداخر السد فيما بين الضياع" قائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس".
4. بناء أحد الصدفين باقيا وهو الذي يخرج منه الماء قائما بحاله.
5. وقع الكسر في العرم وقد بقي من العرم شيء مما يصالي الجنة اليسرى يكون عرض أسفله خمس عشرة ذراعا.
6. وكان العرم مسندا إلى حائط واثر ما بين عضاد بالمداخر بمعازب من الصخر عظام ملحمة الأساس بالقطر.
7. إن بانيه لقمان بن عاد بن الكبر، وفي رواية أخرى بنته حمير والازد بن الغوث.

يبدو إن الهمداني رغم المباشرة العيانية بحسب مفرداته المستخدمة الدالة على مشاهدته السد، لم يركز على تفاصيل السد، وجاءت معلوماته شحيحة عن مثل هذا المعلم الكبير الذي قال عنه بعض الغربيين لو أن الكتاب الكلاسيكيين زاروا السد لعدوه من عجائب الدنيا السبعة، ويرجع ذلك ربما إلى ظروفه السياسية التي كان يمر بها إضافة إلى ما أكتنف رحلته الطويلة للوقوف على جغرافية اليمن من صعوبات حالت دون إعطاء صورة واضحة أو شرح وافي على الأقل لمعلم حضاري كبير مثل سد مارب.

نجد صورة أخرى لمثل هذا النقص في ذكر مدينة مارب القديمة وأسوارها و معبد (أوام) ومعبد (العرش) بالرغم من أنه أشار إلى الأعمدة وأعطى وصفا ولو بسيطا لها، أعطى وصفا أكثر شمولية مثلاً عندما وصف ناعط وهو لا يرقى إلى مستوى مدينة مارب التي كانت أسوارها واضحة بصورة أدق مما وجدها فخري إلا إن الهمداني لم يشر إليها. اكتفى الهمداني بوصف أعمدة العرش ولم يعطي أية معلومة عن المعبد، مثل حدوده وجدرانه والحجارة المستخدمة في بناءه

يصعب إعطاء رأي قاطع فيما إذا كان الهمداني قد وصل إلى مأرب وشاهد معالمها أم لا طالما أن مؤلفاته لم تظهر بشكلها الكامل، وإلى ذلك الحين فإننا لم

نر من المفيد مقارنة رواياته مع روايات من جاء بعده[22] قبل ظهور الاهتمام بالآثار وبدء التنقيبات.

يهمني هنا التوقف عند عبارة جاءت في رواية الهمداني، وقوله:"مدينة سبأ بمارب من أرض اليمن". وهي عبارة تضعنا أمام احتمالات منها أن هناك مدينة للسبأيين سبقت صرواح ومارب وهي تذكرنا بأسماء المدن في حضارة وادي الرافدين مثل سومر للسومريين وأكد للاكديين وأشور للأشوريين[23] فجميع الأقوام كانت لها مدن قديمة ترتبط بأسمائها قبل التحول إلى مناطق ذات مقومات حضارية ساهمت في تكوينهم لإمبراطوريات أو ممالك كبيرة ذات حضارة عظيمة. وسبأ من ضمن هذه الأقوام، ولنا أن نسأل أين كانت هذه المدينة في مارب وأين آثارها؟ هل تغير اسمها إلى مارب ومتى حصل هذا ولماذا؟ والجواب يحتاج إلى استكمال المسح الآثاري لجميع منطقة مارب أولاً.

تدلل محاولة الهمداني اعتماد تقسيم بطليموس للأقاليم على ثقافته واطلاعه على علوم الحضارات السابقة غير انه لم يتح لنا فرصة التمييز بين ما أخذه عن بطليموس وما كتبه هو.[24] وتظهر قيمة هذا التمييز في معرفة ما إذا كانت العبارة أعلاه نقلا عن بطليموس أم هي عبارته؟

أصبح من المسلم به أن الهمداني مؤلفا موسوعيا؛ فهو الأديب، والمؤرخ، والجغرافي، والآثاري، والفيلسوف. ولا ريب إننا نستطيع أن نضيف له لقب الجيولوجي إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار معرفته بالمعادن وتأليفه كتاب الجوهرتين، وان لا نغفل الإشارة إلى أن العالم الموسوعي لا يقتسم، وبالتالي لا نستطيع أن ننسب الهمداني لعلم بذاته.

---

(22) لقد راجعت معظم الجغرافيين الذين كتبوا عن اليمن ولم أجد أحدا اشمل من روايات الهمداني وأخذنا ما جمعه الاكوع من البلدانيين كمثال على ذلك الاكوع: إسماعيل بن علي، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط3، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، 2009)، ص 239،229ـ240؛ الاكوع: إسماعيل بن علي، مخاليف اليمن، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، 2009)، ص51.

(23) الشيخلي: عبد القادر عبد الجبار، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، (بغداد: جامعة بغداد، بد.ت)، ص141ـ142.

(24) لم استطع العثور على كتاب بطليموس في اليمن للتثبت من دقة العبارات المنقولة عنه.

قائمة المصادر والمراجع:

- الأكوع: إسماعيل بن علي

1. مخاليف اليمن، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، 2009).
2. البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط3، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، 2009).

- الحميري: ناصر سعيد عبدالله

3. سد مارب، (جامعة الملك سعود: كلية الآداب ــ قسم الآثار والمتاحف، 1411).

- الشيبة: عبدالله حسن

4. تاريخ اليمن القديم، (صنعاء: مكتبة دار الأفاق، 1999).

- الشيخلي:عبد القادر عبد الجبار

5. المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، (بغداد: جامعة بغداد، بد.ت).

- عبدالله: يوسف محمد

6. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ط2، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1990).

- علي: جواد،

7. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد: منشورات الشريف الرضي، بد.ت)

- فخري: أحمد

8. رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة د. هنري رياض ود. يوسف محمد عبد الله، (اليمن: وزارة الإعلام والثقافة، 1988م).

- نور الدين:عبد الحليم

9. مقدمة في الآثار اليمنية، (اليمن: جامعة صنعاء، 1985).

- الهمداني:أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب

10. الإكليل، تحقيق محمد بن علي بن حسين الأكوع الحوالي، (اليمن: وزارة الثقافةوالسياحة، 2004).
11. صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، 1990).